المحاضرة الثانية عشر بعنوان

الفلسفة الاجتماعية عند دوركايم جزء (2)

عناصر المحاضرة

ثالثاً: أسس للدراسة الاجتماعية ومناهج البحث.

رابعاً: أشهر النظريات الاجتماعية التي عالجها.

خامساً: نقد نظرياته.

ثالثاً: أسس الدراسة ومنهج البحث.

وأهم ما ينبغي الإشارة إليه من أسس الدراسة هو ما يلي:-

1. يجب دراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها أشياء بمعنى أنها تعالج كما تعالج الظواهر الوضعية الأخرى ، وفى ضوء هذا الاعتبار تتحقق موضوعية الظاهرة وشخصيتها العلمية.
2. يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة يعرفها عن الظاهرة موضوع الدراسة حتى لا يقع أسيرا لأفكاره الشخصية ومدركاته السابقة ، ويجب عليه أن يتحرر من تلك الآراء الكاذبة التي يتوارثها الأفراد بصدد شئون الحياة الاجتماعية ، لن هذه الأفكار السطحية قد تكونت دون منهج معين ، فليس لها أية دلالة علمية أو قيمة موضوعية.
3. يجب على الباحث أن يبدأ بتعريف الظواهر التي يتخذها مادة لدراسته لأن الإنسان لا يستطيع أن يتحقق من صدق نظرية ما ، إلا إذا قام بتحديد الظواهر التي ينبغي أن تفسرها هذه النظرية ، وان تعريف هذه الظاهرة يؤدى بالباحث إلى الوقوف على عناصرها الأساسية التي تفسر وجودها وتكشف عن طبيعتها وتعين أشكالها المختلفة.
4. يجب على الباحث عند دراسته لطائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية أن يبذل قصارى جهده في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن صورتها الفردية.

فكلما تحررت الظواهر الاجتماعية من الصور الفردية التي تتشكل فيها استطاع الباحث كشف طبيعتها وإدراك حقيقة أمرها، ويتبع هذه القاعدة أن الباحث لا يتأثر بمشاعره الخاصة أو بتجربته الشخصية عند دراسة موضوع اجتماعي.

هذه هي أهم أسس الدراسة التي نبه إليها دور كايم أما فيما يتعلق بقواعد وخطوات المنهج فتتلخص في:-

- دراسة نشأة الظاهرة والوقوف على عناصرها فلا يمكن فهم طبيعتها إلا بتحليلها إلى عناصرها المكونة.
- دراسة تطور الظواهر والوقوف على مختلف أشكالها فلا يقتصر في شرح الظاهرة على حالتها الحاضرة ولكن ينبغي الرجوع إلى الماضي وربطه بالحاضر.
- دراسة العلاقات التي تربط الظاهرة بما عداها من الظواهر التي تنتمي إلى شعبتها ، ولا بأس من دراسة علاقتها بظواهر أخرى ليست من فصيلتها.
- الانتفاع بمنطق المقارنة في دراسة الظواهر.
- الكشف عن الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها الظاهرة ومدى ما خضعت له هذه الوظيفة من تطور.

❖ تحديد القوانين التي يصل إليها الباحث من دراساته ويجب صياغة هذه القوانين بدقة لأنها هي التي تكون مادة العلم ويفضل دقتها وضبطها ويتعين مركزه بين سائر العلوم.

والخطوات المشار إليها تدلنا على أن الدراسة في علم الاجتماع يجب أن تكون دراسة تاريخية مقارنة، ولذلك كانت الدراسة التاريخية لازمة وضرورية لفهم أصول النظم الحاضرة ووضع النظم المستقبلية على أساس سليم ، وتتخذ المقارنة صوراً ثلاثاً هي:-

- أن تكون المقارنة بين نظم وظواهر في مجتمع واحد.
- أن تكون المقارنة بين نظم سائدة في مجموعة من المجتمعات المتجانسة من حيث الدرجة والنوع.
- أن تكون المقارنة بين نظم سائدة في مجتمعات متمايزة وغير متشابهة ولست من شكل اجتماعي واحد.

رابعاً: أشهر النظريات الاجتماعية التي عالجها

1) نظريته في شؤون الاجتماع.

طبيعة المجتمعات وأشكالها: يمكننا تقسيم المجتمعات كلها بصفة عامة إلى قسمين وهما:

مجتمعات محدودة النطاق: ساذجة ، وبسيطة غير معقدة التركيب وغير مميزة الوظائف وغير خاضعة لمبدأ توزيع العمل وذلك مثل الترابطات أو الاجتماعات الإنسانية الأولي التي لا نجد فيها تمييزا بين الوظائف ، فليس ثمة هيئة خاصة تقوم بشئون الاقتصاد أو بالتشريع أو بالتربية ولكن كتلة المجتمع كلها تقوم في آن واحد بكل شئون الاقتصاد والسياسة والتشريع.

ويذهب دور كايم إلى أن أول شكل اجتماعي يمكن تصوره أو افتراضه لنشأة الحياة الاجتماعية هو الترابط ثم العشيرة ثم الاتحاد وأخيرا القبيلة ، ويذهب دور كايم كذلك إلى أن الدين هو أقوى مظاهر الحياة الجمعية في هذه الأشكال ويسمى دور كايم هذه الأشكال (المتجمعات البدائية).

مجتمعات واسعة النطاق: معقدة التركيب ومميزة الوظائف وتخضع لمبدأ توزيع العمل وهي ما يسميه دور كايم بالمجتمعات التاريخية ويضرب لها مثلا نظام المدينة (كالمدن اليونانية والرومانية) والإمبراطوريات القديمة (كالإمبراطورية الرومانية) وفي هذه المجتمعات تتوزع الأعمال وتتنوع الوظائف وتزيد درجات التخصص ويصبح الفرد أداة من أدوات الإنتاج وعنصرا من العناصر الاجتماعية أما النماذج الحديثة فيغلب عليها سلطة القانون وقوة التعاقدات والمعاملات القانونية.

2) نظريته في الدين

تقوم نظرية دور كايم في الدين على أساس تقسيم الظواهر الدينية إلى قسمين:

- القسم القدسي: وهو الذى يتعلق بالعقائد وما يتصل بها.
- القسم العلماني: وهو الذى يتعلق بالطقوس والعبادات وما يتصل بها.

ويقصد بالقسم القدسي كل شيء من نظريات الديانات يكون من طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن أشياء العالم العلماني ، فقد يدخل في هذا القسم (الآلهة والكائنات الروحية والنصوص الدينية والأحجار المقدسة) فكل ما يمتاز به القسم القدسي أنه من طبيعة تختلف اختلافا جوهريا عن الأشياء العلمانية.

hadeel alnafea

أما القسم العلماني في نظريته فهو عبارة عن الأعمال والطقوس التي تنظم سلوك الإنسان حيال القسم القدسي ويتمثل هذا القسم في الصلاة والصوم والحج والدعاء والزكاة وما يلجا إليه الإنسان من حركات وأعمال لتفسير موقفه من كائنات القسم الأول.

ودرس دور كايم أصول الديانات الإنسانية ووجد أن المفكرين ذهبوا بصدد هذا الموضوع إلى مذهبين : المذهب الطبيعي والمذهب الروحي.

ويرى أنصار المذهب الأول أن الإنسانية اتجهت في فجر نشأتها إلى عبادة مظاهر الطبيعة التي تتمثل في الشمس والكواكب والقمر والنار والأشجار وما إليها.

ويرى أنصار المذهب الروحي أن الإنسانية في بدء تدينها لجأت إلى عبادة الكائنات الروحية التي تتمثل في الآلهة والملائكة وأرواح الموتى.

3) نظريته في المعرفة الإنسانية :

وطبق دور كايم نظريته على المقولات أو المبادئ العقلية مثل:

فكرة الزمان والمكان والجنس والعدد والجوهر وما إلى ذلك من المعاني الكلية.

فالتقسيم الزماني قسمه إلى أيام وأسابيع وشهور وسنين يطابق التكرار الزمني لمواعيد الطقوس والأعياد والحفلات العامة.

وكذلك الحال بصدد فكرة المكان فقد كان التنظيم الاجتماعي نموذجا للتنظيم المكاني ، وكان الثاني نتيجة طبيعية للأول.

وفى هذا النطاق الاجتماعي يمكننا أن نفسر كثيرا من المبادئ العقلية ومقولات التفكير كفكرة الجنس ، فمعنى الجنس يتضمن القرابة بين الأنواع ومعنى النوع يتضمن القرابة بين الأفراد ، ومعنى العلة يتضمن وجود قوة موحدة ، ومعنى الكلي يتضمن مجموع الموجودات ، ومعنى الواجب ينطوي على معنى السلطة وهذه كلها أمور اجتماعية ولا يمكن تصورها بعيدا عن المجتمع.

درس دور كايم الأسرة بوصفها أول خلية في المجتمع وانتهى من دراسته إلى أن الاجتماع الأسري لا يقوم على الغريزة ودوافع الطبيعة والقرابة ولكن هذا الاجتماع يقوم على قواعد وأساليب يرتضيها العقل الجمعي وتدعو إليها الحياة الاجتماعية ، وقرر بصدد دراسته لنطاق الأسرة أنه تطور من الاتساع إلى الضيق.

وكان لهذا التطور أثره في وظائف الأسرة فقد تطورت هذه الوظائف من الأوسع إلى الواسع ثم إلى الضيق فالضيق ، فكانت الأسرة القديمة أشبه بمملكة مستقلة تقوم بمختلف الوظائف الاجتماعية وهي التي تقوم بشئون الإنتاج والتوزيع والاستبدال الداخلي والخارجي، وكان رئيس الأسرة هو حاميها ومحاميها ومربيها وكاهنها.

ثم اخذ المجتمع ينزع من الأسرة هذه الوظائف فانتزع منها وظيفتها السياسية وجعلها من اختصاص الدولة وانتزع منها الوظيفة التشريعية وجعلها من اختصاص البرلمان، والوظيفة القضائية وجعلها من اختصاص المحاكم، والوظيفة التربوية وجعلها من اختصاص المدارس، وهكذا شأنه بصدد باقي الوظائف ، ولم يبق للأسرة إلا على وظيفتها الأخلاقية فهي في نظر دور كايم الوظيفة الأساسية.

وتدور هذه الوظيفة حول عمليات التنشئة الاجتماعية ، ودرس دور كايم محور القرابة في الأسرة وقرر في هذا الصدد أن القرابة لا تحددها صلات الدم ولا الروابط الطبيعية، إنما تخضع لما يتواضع عليه المجتمع من نظم وما يقره العقل الجمعي من أوضاع.

nader alnafea

4) نظريته في الانتحار:

درس دور كايم ظاهرة الانتحار والواقع أن الانتحار في ذاته مرتبط اشد الارتباط بالحالة الاقتصادية والدينية والعرف والتقاليد وما إلى ذلك من شئون الحياة الاجتماعية.

واعتمد دور كايم في دراسته على البحث عن العوامل الاجتماعية الكامنة في طبيعتها ، وهذه العوامل عبارة عن أسباب خارجة عن ذوات الأفراد تنشأ من طبيعتها ، وهذه العوامل عبارة عن أسباب خارجة عن ذوات الأفراد تنشأ من طبيعة الظروف المحيطة بالمجتمع وهي أسباب عامة وواحدة في فترة معينة، وقد تكون هذه الأسباب الاجتماعية مرتبطة بالأزمات الاقتصادية والدينية والسياسية.

وبانهيار الروابط الأسرية وقيام الحروب والثورات وما إلى ذلك من الأمور العامة في المجتمع ، وصل دور كايم من وراء دراسته إلى قانون اجتماعي ملخصه أنه كلما قويت هذه الهيئات الثلاث (الدين والأسرة والدولة) واشتدت سلطتها على الأفراد الذين ينتمون إليها كلما قل عدد المنتحرين.

ولكن إذا اضعف كيانها ووهنت سلطتها واضمحل نفوذها تحرر الأفراد من رقابتها وانهار الشعور الجمعي في نفوسهم وتغلت الروح الفردية ولا يجدون في نفوسهم أثرا للوازع الديني أو العائلي أو القومي ومن ثم يتصرف الأفراد حسب إرادتهم الخاصة وهنا يكثر الانتحار.

خامساً: نقد آرائه

وجهت إلى العلامة دور كايم انتقادات كثيرة حول نظرياته منها:-

أن صفة الجبر والإلزام التي تتميز بها الظواهر الاجتماعية تجعل من الفرد رقيقا للمجتمع وتقضى على حريته وتحط من قيمته الأخلاقية والعقلية ، فالفرد إذ يؤدي عملاً من الأعمال لا يؤديه لكنه يدرك معقوليته أو خبرته ولكن لأنه مفروض عليه بنوع من القهر والإلزام

أغفل دور كايم عند تقسيمه للعلوم الاجتماعية الخاصة نواحي هامة ما كان ينبغي أن يهملها فتراه لم ينشئ فرعا لدراسة النظم الاجتماعية البدائية أو دراسة المجتمعات المتأخرة مع أنه هو نفسه يعتمد في كل دراسته اعتمادا كليا على هذه المجتمعات.

تقسيم دور كايم للمجتمعات تقسيم ناقص فقد وقف عند الإمبراطوريات القديمة وكان من الواجب أن يضع في تصنيفه المجتمعات الإقطاعية ونشأة القوميات والدول الحديثة ثم الإمبراطوريات الاستعمارية الحديثة ونشأة الوحدات الإقليمية والدولية.

نظريته في المعرفة تحط من قيمة العقل الأخلاقية ولا تفسر لنا طبيعته فإنها لا تتناول طبيعة العقل فى ذاته بالبحث والتحليل ولا تمس جوهره ولكنها تقرر وجوده على نحو ما وتعني بالبحث عن أصول المعاني والمبادئ اللازمة لعمله.

لا يمكن التسليم بصحة نظريته في الدين لأن نظريته لم توفق إلا في الطقوس والعبادات ولكنها لا تقوى على تفسير ظواهر النبوة والوحي والمعجزات وخوارق الطبيعة ونزول الرسالات عن الذات الإلهية وهذه الظواهر هي الدعائم الأساسية التي ترتكز عليها الديانات السماوية المنزلة التي تعتنقها معظم المجتمعات الإنسانية وهي اليهودية والمسيحية والإسلام.

nadeel almatra

يؤكد دور كايم طبيعة الأسرة الاجتماعية ويضغط على وظيفتها الأخلاقية ويغالي في تقديرها غير أن للأسرة بجانب ذلك وظائف أساسية لا غني عنها يتعلق بعضها بالناحية البيولوجية وحفظ النوع ودوام بقائه ، ويتعلق البعض الآخر بصقل النشء للاستجابة مع مطالب هذه الحياة.

وإذا قارنا بين بحوث دور كايم وبحوث أرسطو لا تخلو من طرافة ودقة في التحليل فقد اعتبر الأسرة أول خلية في بناء المجتمع، وهى أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة، ثم أين هي مشكلات الأسرة؟ وكيف ندرؤها .ولم يعالج دور كايم ما كان ينبغي عليه أن يعالجه.

hadeel almafea